العرب
الإثنين 2021/08/30
السنة 44 العدد 12164

مؤتمر إيراني في بغداد.. اسألوا الميليشيات

فاروق يوسف
كاتب عراقي

يمكن أن يكون المؤتمر الذي شهدته العاصمة العراقية مؤخرا قاعدة يقوم عليها تجمع دولي قد يُطلق عليه اسم "نادي بغداد".

قبل إن أمورا استراتيجية حساسة قد تم التباحث حولها في المؤتمر الذي استمر لساعات من غير أن تتسرب أي أخبار عن تلك الأمور.

فإذا كان المؤتمر يتعلق بأمن المنطقة فلماذا عُقد في بغداد وهي واحدة من أكثر المدن في العالم افتقارا إلى الأمان؟

ربما من أجل أن تعبر دول بعينها عن تضامنها مع العراق في محنته الوجودية التي لا أمل في الخروج منها بطريقة ذاتية.

ولكنه مؤتمر الدول المتناقضة. تركيا ومصر. إيران والسعودية. قطر والإمارات. كان من المفترض أن تتوصل تلك الدول إلى حد أدنى من الاتفاق في ما يتعلق بالشأن العراقي وطبيعة مواقفها منه ومن الأطراف القائمة على صناعته قبل أن يقضي رؤساؤها خمس ساعات في إلقاء كلمات لن توصف أي منها بالـ"تاريخية".

العراق في حقيقته هو رزمة محن وأزمات وكوارث. لغم يعرف الجميع أنه يمكن أن ينفجر في أي لحظة. الدول التي شاركت في المؤتمر ليست كل الأطراف المعنية بتداعيات ذلك الانفجار وهي ذاتها الأطراف التي تشارك بطرق مختلفة في تأجيله من غير أن تكون قادرة على تحديد سقف زمني لذلك التأجيل.

ذلك واقع حال يسعى العراق إلى القفز عليه وتجاوزه لاهيا عن مشكلاته ليعبر عن قلقه من الخلافات الثنائية القائمة بين دول المنطقة ويكون ماسك العصا التي يجب أن يتمسك بها الجميع من أجل أن يخرجوا من المأزق.

> الصورة وثقت لحظة تاريخية تم الاعتراف من خلالها بأن وزير خارجية الاحتلال في مستوى زعماء الدول. حصدت إيران الاعتراف الشكلي غير أن ما حققته من خلال المؤتمر أكبر بكثير

بدلا من أن تساهم الدول في حل مشكلات العراق فإن العراق هو الذي يتقدم بمبادرة لحل مشكلات المنطقة. سيُقال إن تلك المشكلات لو حُلت فإن مشكلات العراق ستُحل. تلك كذبة إيرانية يتبناها عراقيو الحكم. نظرية لا تنسجم مع ما يجري للعراق ولما ينطوي عليه مصيره من تحديات بقدر ما تعبر عن طموحات إيران في أن يكون هناك اجماع إقليمي ودولي على ضرورة وجودها في العراق.

كان واضحا في اللغة السياسية العراقية الاهتمام بالخلاف الإيراني – السعودي كونه أساس العقدة العراقية. ذلك منطق لا يستوي مع حقيقة أن الهيمنة الإيرانية على العراق لا علاقة لها بذلك الخلاف. فإذا كانت إيران تملك مَن يمثلها من الميليشيات المسلحة في العراق فإن السعودية لا تفكر إلا في استعادة العراق إلى محيطه العربي. وهي مستعدة من أجل ذلك لتقديم كل أنواع الدعم من أجل قيام حكومة عراقية مستقلة في قرارها السياسي، حريصة على مبدأ السيادة الوطنية.

لم يُعقد المؤتمر إلا بعد موافقة الولايات المتحدة التي لم تُشارك فيه. ولكن كان الأولى بالدولة التي صنعت هذا العراق الملغوم أن يكون لها رأي في ما تشهده المنطقة من مشكلات قد يكون وضع العراق الملتبس مصدرها. غير أن امتناع الولايات المتحدة عن المشاركة له دلالات كثيرة. منها أن المؤتمر كان إيرانيا أو بأهداف إيرانية. وأيضا أن الدول المشاركة فيه لا تملك رؤية مشتركة لمصير العراق الذي وإن بدت مهتمة به فإنها لا تعرف كيف تصل إلى مفاتيحه ما دامت إيران حاضرة باعتبارها صديقا فيما هي في حقيقتها العدو الذي يجب التخلص منه.

رؤساء الدول والوفود الذين حضروا يعرفون جيدا أن إيران أوفدت وزير خارجيتها لكي يراقب ما يجري. وليس صحيحا ما يُقال إن هناك خطأ بروتوكوليا وقع في المراسم وأدى إلى أن يقف ذلك الوزير في الصف الأول مع زعماء الدول في الصورة التذكارية. كانت تلك الصورة توثيقا للحظة تاريخية يتم الاعتراف من خلالها بأن وزير خارجية الاحتلال هو في مستوى زعماء الدول. وهو ما حدث فعلا. حصدت إيران على ذلك الاعتراف الشكلي غير أن ما حققته من خلال المؤتمر أكبر بكثير من ذلك الاعتراف.

منذ أن تم غزوه واحتلاله عام 2003 صار العراق بمثابة فخ للجميع. كان فخا أميركيا. أصبح فخا إيرانيا. ولكن تخيل أن إيران هي الدولة الوحيدة في العالم التي تسعى إلى استمرار العراق في البقاء في غرفة العناية المركزة هو تصور ناقص.

إيران التي تحكم العراق من خلال أحزابها وميليشياتها تحظى بدعم دول أخرى. لا تجد تلك الدولة مصلحة لها في أن يتحرر العراق من الاحتلال الإيراني. وإذا ما أردنا معرفة حقيقة ما جرى فعلينا أن نسأل الميليشيات الإيرانية.

حائط المبكى اليمني

صالح البيضاني
صحافي يمني

كما فقد اليمنيون ثقتهم بجميع أطراف الحرب والمكونات السياسية اليمنية، لا تحظى الأمم المتحدة ومنظماتها العاملة في اليمن بكثير من الثقة أو حتى الاحترام، بعد أن تلاشى أي دور حقيقي لتلك المنظمات في انتشال البلاد من براثن الحرب وتبعاتها التي أثقلت كاهل الفقراء.

وإلى جانب بيانات القلق التي باتت تشتهر بها المنظمة الدولية، يتحدث اليمنيون في مجالسهم وعلى مواقع التواصل الاجتماعي كثيرا عن حالة الترف والحياة الرغيدة التي يعيشها العاملون في المنظمات الإنسانية في اليمن الذين باتوا يقتاتون على القلق الأممي والدولي إزاء ما يحصل في البلاد، دون أن يتحول هذا القلق إلى واقع ملموس.

ويبدو أن اليأس الذي يدب اليوم في نفوس اليمنيين إزاء انتهاء محنتهم المستمرة منذ عقد من الزمن، تسرب كذلك إلى المجتمع الدولي والأمم المتحدة في الآونة الأخيرة، كما تقول العديد من الشواهد، حيث باتت تلك الأطراف تبحث عن أقل الوسائل تكلفة وأكثرها ربحا للتدخل في الشأن اليمني من خلال تجاهل جذور المشكلة الأصلية والتعامل مع الأزمة اليمنية كملف إنساني صرف، يساهم في رفد خزائن المنظمات الإنسانية الدولية وينوع مصادر تمويلها الشحيحة ويوفر الآلاف من فرص العمل لموظفيها الدوليين، فيما يتواصل استغلال بعض الدول الكبرى لهذا الملف، كأداة للابتزاز السياسي.

ومن أجل تحقيق الأهداف الخفية سابقة الذكر، تحرص الدول الفاعلة في الملف اليمني والمنظمات الدولية على حد سواء وبشكل مستمر وحثيث على جعل اليمن حاضرا في المحافل الدولية ووسائل الإعلام العالمية، كأكبر أزمة وأعظم مجاعة عرفتها البشرية وتحويل هذا البلد المنهك بالحرب والفقر إلى حائط مبكى إنساني، يدر المزيد من التمويلات لخزائن هذه المنظمات التي لا يلمس اليمنيون على الأرض أي أثر حقيقي لأعمالها الإنسانية المزعومة.

وقد أدرك الحوثيون منذ وقت مبكر نقطة الضعف الهائلة في عمل المنظمات الأممية في اليمن، فعملوا على استغلالها بأبشع الصور من خلال توجيه أنشطتها وفرض بعض الموظفين المحليين عليها والتضييق عليها بين الحين والآخر والتلويح برفض التعامل مع بعض المسؤولون الدوليين وهو ما يعني بطبيعة الحال إجبار المنظمات على إيقاف أعمالها أو تغيير مسؤوليها بما يتناسب مع الرؤية الحوثية.

ويمكن اكتشاف حجم هذا الابتزاز الذي مارسه الحوثيون على المنظمات الإنسانية العاملة في اليمن من خلال الاستماع لشهادات بعض موظفي تلك المنظمات التي أدلوا بها، بعد انتهاء فترة عملهم في اليمن، والتي بينت حجم الانتهاكات والابتزاز والسرقة التي كانت تقوم بها الميليشيات، بينما كان هؤلاء المسؤولين يلتزمون الصمت عندما كانوا على رأس منظماتهم الفاسدة، المثقلة بالحسابات الشخصية.

وقد تجاوزت حالة التزاوج بين مصالح بعض العاملين في المنظمات الإنسانية الدولية في اليمن والحوثيين حاجز تبادل المنافع والفساد المزدوج إلى تدخل تلك المنظمات في قضايا وملفات سياسية لتخفيف الضغط عن الحوثيين، وهو ما شهدنا إحدى صوره على سبيل المثال في الدور الذي لعبته المنظمات للضغط على إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن لشطب الحوثيين من قائمة الجماعات الإرهابية تحت ذرائع ودواع إنسانية.

وقبل ذلك مارست تلك المنظمات دورا تجاوز حتى طبيعة عملها، عندما حول بعض العاملين فيها أنفسهم إلى دروع بشرية للحيلولة دون استكمال تحرير ميناء الحديدة في العام 2018 وهو ما تكلل بعد ذلك بتوقيع اتفاق ستوكهولم الذي لم يتم تنفيذ أي من بنوده سوى استحداث فريق أممي جديد من ذوي القبعات الزرق والشعر الأشقر، لمراقبة تنفيذ الاتفاق، يقضي معظم وقته على متن سفينة فاخرة قبالة سواحل الحديدة التي يموت أهلها جوعا.

الأسد الغائب الحاضر في قمّة بغداد

إبراهيم الجبين
كاتب سوري

عُقدت قمّة بغداد للتعاون والشراكة، ولم يحضر الأسد، فهل غاب الملف السوري حقّا كما يحاول العراق القول؟ من يراقب كيف طار وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبداللهيان إلى دمشق على الفور بعد انتهاء أعمال المؤتمر حاملا مخرجاته معه لن يفهم هذا. ولن يغيب عن الانتباه تعمّد عبداللهيان إلقاء كلمته باللغة العربية، رغم ركاكتها، والوقوف في صف الرؤساء لا في صف وزراء الخارجية في الصورة التذكارية، وتشديده على ذكر ما سمّاها الجمهورية العربية السورية "الشقيقة"، وكأنه يقول للزعماء الحاضرين إن هذه الدولة العربية باتت هي الأخرى تحت ظل الإمبراطورية الفارسية، إضافة إلى استفزازاته المتكررة للعرب والمشاركين جميعا، بالإشادة بقاسم سليمان ورفيقه المهندس اللذين حسبما قال ارتكبت الولايات المتحدة جريمة قتلهما.

أيضا، لا يمكن لمن راقب التردّد الدولي في دعوة رئيس النظام السوري بشار الأسد لحضور مؤتمر بغداد الإقليمي للتعاون والشراكة، إلا أن يتذكّر ذلك التمنّع الذي أبداه والده حافظ الأسد حين وجّه إليه الرئيس العراقي الراحل صدام حسين دعوة لحضور القمة العربية في بغداد في مايو 1990. حينها وجد الأسد نفسه بمواجهة استحقاق مبدئي، وهو الذي رفع شعار الدفاع عن الأمّة العربية، واعتاش عليه طيلة فترة حكمه، مستغلا حاجة الدول العربية إلى ذلك الخطاب آنذاك لضمان أمنها، رفض الأسد دعوة العراق، لا بسبب الخلاف العقائدي بين جناحي حزب البعث اللذين حكما العراق وسوريا في تلك الفترة، بل لأنه كان يعرف أن هناك عاملا سيقف عائقا أمام حضوره "الداعم" للعراق فيما لو حضر. إنه العامل الإيراني.

كان النظام السوري ولم يزل أحد أهم حلفاء إيران، في الحرب العراقية – الإيرانية كانت بضائع المصانع السورية، من السمن والمناديل ومختلف المواد الغذائية تختفي من الأسواق السورية، لكنها كانت تصدّر إلى إيران بالمجّان فيأتي بها المهرّبون لبيعها في سوريا مجددا بأسعار خيالية. هذا عدا عن الدعم العسكري والاستخباري الذي قدّمه الأسد لإيران ضد الشقيق العربي، العراق.

اليوم تلفت الأنظار مواقف بعض الدول التي دعت قبل فترة إلى نوع من الانفتاح على نظام الأسد، بينما رفضت بشدّة حضوره قمة بغداد. فما الذي تبدّل؟ لا شيء.. إنه العامل الإيراني ذاته.

> تسويق الحالتين العراقية والسورية بمعاييرهما الحالية هو نوع من التواطؤ مع المشروع الإيراني في المنطقة وهذا ما لا يسمح به فهناك حدود للحركة غير المسموح للأسد بتجاوزها

العرب يريدون سوريا بعيدة عن إيران، وقمّة بغداد، في وضع العراق الحالي، هي قمّة طهران، فهي المهندس الذي يرتّب كل شيء، وأي خطوة يتقدمها الأسد خارج حدود سوريا في بلد عربي، ستكون مكسبا كبيرا، لكن هذه المرّة سيكون ذلك المكسب هديّة مغلّفة بالعلم الإيراني. وهذا ما لا يريده العرب.

رئيس الوزراء العراقي حاول جاهدا إقناع الآخرين أنّ "مؤتمر بغداد للتعاون والشراكة" سيكون "حدثا مهما للعراق والمنطقة بأكملها"، ولم يقل كيف؟ والمحور الذي تحكمه إيران وتسميه محور المقاومة، يغرق كل يوم في الظلام أكثر من اليوم السابق. الفساد والمشاريع المعطّلة والفوضى والدمار والجريمة والتشظي. كل تلك العوامل، هي النموذج الذي يريد مؤتمر بغداد الترويج له، وبيعه لشعوب المنطقة والعالم.

وحتى حين زعم الكاظمي أن المؤتمر سيعزّز من "دور العراق التاريخي في إرساء السلام". فهو إنما كان ينكأ جراحا عديدة لم تُشف بعد، فأي دور تاريخي لبلد عربي محكوم بالعمائم الحاقدة على العرب والتي تقرّر مساره من خلف الحدود؟

خيرا فعل عضو لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان العراقي، النائب عامر الفائز حين كشف الخبايا قائلا "لم توجّه الدعوة للنظام السوري إلى الآن، ولكن على ما يبدو أن العراق يحاول حاليا إقناع بعض الدول كفرنسا والسعودية والإمارات من أجل تصفية الأجواء وإقناعهم بمشاركة النظام". فلماذا ترفض هذه الدول حضور الأسد؟

تسويق الحالتين العراقية والسورية بمعاييرهما الحالية هو نوع من التواطؤ مع المشروع الإيراني في المنطقة، ومع رؤية خامنئي والحرس الثوري للمستقبل، وهذا ما لا تسمح به تلك الدول، فهناك حدود معقولة للحركة على رقعة الشطرنج، ومن غير المسموح للأسد بتجاوزها.

وكثر الجدل حول دعوة الأسد وعدم دعوته، حتى قام رئيس هيئة الحشد الشعبي فالح الفياض بنقل الدعوة بنفسه للضيف الثقيل لحضور قمة بغداد، خلال لقائه به في دمشق. إلى أن حسمت وزارة الخارجية العراقية الأمر ببيان رسمي، نفت فيه تقديم دعوة إلى الأسد لحضور اجتماع القمة موضحة أن "الحكومة العراقية تؤكد أنها غير معنية بهذه الدعوة، وأن الدعوات الرسمية تُرسل برسالة رسمية وباسم رئيس مجلس الوزراء العراقي"، مشيرة إلى أنه "لا يحق لأي طرف آخر أن يقدم الدعوة باسم الحكومة العراقيّة، لذا اقتضى التوضيح".

تغيب سوريا عن المؤتمر؟ قد يحدث هذا في المستوى المعلن، كما يحاول وزير الخارجية العراقي فؤاد حسين التبرير، لكن نقاشات تحت الطاولات جرت، حملها معه عبداللهيان إلى الأسد، وقد تحوّل الشأن السوري إلى ملف مكتوم، بعدما كان الثقل العربي الذي تمثله سوريا قادرا على تعديل كفتي الميزان في مطلع التسعينات، ورفض الأسد الأب تقديمه، تهافت الأسد الابن اليوم على حضور قمة في نفس المكان في عاصمة الرشيد الذي لم يقصّر في إرسال الإرهابيين عبر الحدود، ليزيد من مرارة الغزو الأميركي للعراق مرارة ودماء وفوضى، تكريسا لحكمه ولاستعمال أمن العراق كورقة ضغط على الولايات المتحدة والدول الغربية، فما أشبه اليوم بالبارحة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk